توظيف النص الشعري في رسائل العصر الجاهلي

The Employment of Poetic Texts in Epistles of the Pre-Islamic Era

م.د. بلال عبد الرزاق حميد

Bilal Abdul-Razzaq Hamid

جامعة سامراء / كلية التربية/ قسم اللغة العربية

University of Samarra College of Education
Department of Arabic Language

الكلمات المفتاحية: الرسائل الجاهلية، النص الشعري، التوظيف الأدبي، النثر الجاهلي، الثقافة العربية القديمة

Keywords: Pre-Islamic Epistles, Poetic Text, Literary Employment, Pre-Islamic Prose, Ancient Arabic Culture

الملخص

جســـدت الرســـائل الشـــعرية طبيعة العصـــر فكانت انبثاق للعادات والتقاليد والأعراف المتعارف عليها آنذاك، فضـــلاً عن أنها كانت مســـتوحاة من الثقافة العامة التي كانت ســـائدة في ذلك العصـــــر، فعلى الرغم من قلة اســـــتعمال العرب آنذاك للنثر لكون المزاج العربي يميل إلى الشعر بدل النثر إلا أننا نرى أدبًا نثريًا وإن كان قليلاً مقارنة بالشعر، لكن وصل إلينا نثرًا جاهليًا.

Abstract

Poetic epistles embodied the nature of the era in which they emerged, as they reflected the prevailing customs, traditions, and social norms of that time. Moreover, they were inspired by the general cultural context that dominated the period. Despite the limited use of prose among the Arabs of the Pre-Islamic era—due to the Arab temperament's inclination toward poetry rather than prose—there nevertheless existed a form of prose literature, albeit modest in comparison with poetry. This Pre-Islamic prose has reached us and represents an authentic literary legacy of that era.

التقديم:

إنَّ للنص الشـعري أهمية كبيرة ولاسـيما في العصـر الجاهلي، لاعتمادهم على الشـعر، وهذا لا يعني أن في العصـر الجاهلي لم يكن هنالك نثر ولا سـيما الرسـائل، ولكن قد تضـمنت النصـوص النثرية في الرسـائل نصـوص شـعرية لكي تقوي المعنى أو لإعطاء سمة جمالية وفنية في هذا اللون من تداخل النصـوص النثرية والشـعرية، وحينما نأتي إلى تلك النصـوص وأن كانت على قلتها بسـبب اعتمادهم على الرواية الشـفهية أو لاهتمامهم بالشـعر أكثر من النثر، وهذا لا يعني انعدام الكتابة في ذلك العصر.

فلقد زخر النتاج العربي بالفنون الأدبية المختلفة، التي شـكلت في مجملها صـورة للثقافة اللغوية والتعبيرية عند العرب، فقد سـار النثر مع الشـعر في خط واحد خدمة لهدف واحد وهو إيصـال الفكرة والمعنى وترسيخه في ذهن المتلقي، ومن صور هذا الاستعمال تضمين الشعر في الرسائل التي اتسع استعمالها عند العرب في مختلف المناسبات والمواقف والأحداث.

ولهذا شكل الخطاب ومناسبة المقام ودوافع القول السبيل في اختيار النص الشعري داخل الرسالة، كل هذه الجزئيات تحدد الطريقة التي كتبت بها الرسائل بما تريد تحقيقه من أهداف، مع مراعاة المرسل والمرسل إليه في صياغة النصوص الشعرية والخطاب الفني في الرسائل تنوع وفقاً لتنوع الأحداث التي شهدتها البيئة العربية.

توظيف النص الشعري في رسائل العصر الجاهلي:

كانت الكتابة معروفة ومألوفة في العصر الجاهلي، وإن لم تكن منتشرة فيهم لقلة حاجتهم إليها وندرة وسائلها وأدواتها إذ كانوا يعمدون إلى نظم رسائلهم شعرًا لكي يسهل حفظها ونقلها، إذ لم يكن للعرب حظ كبير أو نصـيب منها في الجاهلية، إذ كان أكثرهم بداة متنقلين، ويبحثون عن مصـادر العيش، على الرغم من وجود بعض القرى والحواضـر في جزيرتهم. (موسـى،١٩٩٧، ١٣)، ومما يؤيد أن العرب كانوا يعرفون القراءة والكتابة قول المرقش الأكبر.(القيسـي، ١٩٧٠، ٨٨٤):

الدارُ قَفْرٌ والرسومُ كمـــــا رَقَّشَ في ظَهرِ الأديـــم قَلَمْ

وكذلك يصف لبيد بن ربيعة الكتابة في شعره، إذ قال (ابن ربيعة، ١٩٩٣، ٢٠٣):

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلولِ كأنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أقـــلامُها

الزبر: الكتابة, (ابن منظور, ١٤١٤هـ, مادة: زبر).

ولكن ما وصـلنا من الرسـائل النزر اليسـير المتضـمنة نصـوص شـعرية في تلك الحقبة فآثرنا أن نسلط الضوء على تلك النصوص لنكشف ما فيها من جمالية فنية وموضوعية واستعمال للألفاظ ونبين كيفية توظيف هذه النصوص في رسائل العصر الجاهلي.

إنَّ الرسائل الشعرية على قلتها لكنها تضمنت مضامين مقتصرة على أغراض معينة لا تخرج عن مقتضيات البيئة الصحراوية، فمن الشعراء من كان لا يعرف الكتابة، ولكن كان لديهم الرغبة في أن تكون رسائلهم شعرية، فقد أملوها على من يعرف الكتابة، فيبدو أن أغلب الرسائل الشعرية في عصر ما قبل الإسلام قد كان خلفها دوافع لها ارتباط وثيق ومباشر بالأحوال والظروف التي كانت مهيمنة آنذاك على طبيعة المجتمع العربي (البلداوي، ١٩٨٣، ٨).

فمن النصوص النثرية التي تضمنت شعرًا رسالة عبد العزى بن امرئ القيس القيسي الكلبي إلى قومه.(الطبري، ١٣٨٧هـ، ٦٦/٢, وينظر: صفوت، د.ت، ١٤/١-١٥):

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصّه البنيان عشرين حجة يعلى عليه بالقرامید والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فأتهمه من بعد حَرْسٍ وحقبةٍ وقد هدَّه أهلُ المشارقِ والغَرْبِ
وظنَّ سِنمارٌ به كلَّ حَبْرَةٍ وفاز لديه بالموَدَّةِ والقُرب

سنمار: يضرب مثلاً لسوء الجزاء ، فسنمار كان بناءً مجيدًا، وهو من الروم، فبنيَّ قصر الخورنق الذي بظهر الكوفة للنعمان ابن امرئ القيس، فلما نظر إليه النعمان كره إنَّ يعمل مثله لغيره، فألقاه من أعلى الخورنق فخر ميتاً. (الهروي، ١٩٨٠، ٢٧٣, وينظر: العسكري، د.ت، ١/ ٣٠٥)

أما القرمد، ضرب من الحجارة يوقد عليها، فإذا نضج قُرْمِدَ به البرك، أي طُلِيَ: والقرمد: كُل ما طُلِيَ به للزينة كالجص، والزعفران، وثوب مقرمد بالزعفران والطيب أي مطلي. (ابن الجوهري، ١٩٨٧, مادة، قرمد).

أما السمق: أي علا وطال وارتفع. (ابن الجوهري، ١٩٨٧، مادة، سمق). وآض: عاد ورجع. (ابن الجوهري، ١٩٨٧، مادة، أيض, وينظر: ابن منظور, مادة، أيض).

فيستمر الكتاب في تضمين الأبيات التي تستعرض غضب الملك وظنه أنهم من قاموا بقتله(صفوت، د.ت، ١٥/١-١٦):

فقال اقذفوا بالعلج من فوق بُرجه فهذا لعمر الله من أعجب الخطب
وما كان لي عند ابن جفنة فاعلموا من الذنب ماآلى يميناً على كلبِ
ليلتمِسنْ بالخيل عُقْرَ بلادهم تحلَّلْ (أبيتَ اللعنَ) من قولك المُزْبى
ودون الذي مَنَّى ابن جَفنةَ نفسه رجالٌ يَرُدُّون الظَّلُومَ عنِ الشَّعْبِ
وقد رامَنا مِن قبلك المرءُ حارثٌ فغُودِرَ مَسلولاً لدى الأَكمِ الصُّهْبِ

العلج: الرجل من كفَّار العَجَم، ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار علج. (ابن الجوهري، ١٩٨٧، مادة، علج).

أما المزبى : أَي أُزعجه وأقلقه. (ابن منظور، ١٤١٤هـ، مادة: زبي). أما الشعب: الشعوب أكبر من القبائل (الأزهري، ٢٠٠١، مادة، شعب؛ وينظر: ابن الجوهري، ١٩٨٧، مادة: شعب). والأكم: هو تل من القُفِّ، وهو حجر واحد، وقيل: هو دون الجبل(الأزهري، ٢٠٠١، مادة: أكم, وينظر: ابن منظور، ١٤١٤هـ, مادة: أكم). والصهب: الأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضَه حُمرة، كما في قول طرفة بن العبد: صُهابِيَّةُ العُثْنُونِ، مُؤْجَدَةُ القَرَا، ... بَعيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ، مَوَّارَةُ اليَدِ. (ابن الجوهري، ١٩٨٧، مادة: صهب).

فحينما نأتي إلى هذه الأبيات نجد أن عبد العزى بعث رسالة إلى قومه وقد وظف فيها الشعر خير توظيف إذ استوحى مثلاً يضرب به العرب من قصة رجل يدعى (سنمار) ليوصل إلى قومه فكرة عدم الوفاء له، كما فعل النعمان ابن امرئ القيس بسنمار من عدم الوفاء له, فالأبيات نعبر عن بنية دلالية تجسد مفارقة الجزاء وانكسار التوقع الأخلاقي, إذ تتكرر لفظة الجزاء لتؤسس احساسًا دائريًا بالخذلان, إذ لا يفضي الإحسان إلى مكافأة, بل إلى عقوبة تثقل الشاعر نفسيًا وزمنيًا, ويتحول الزمن الممتد البعيد الذي يتمثل بقصة (سنمار) إلى شاهد على رسوخ الجرح لا على اندثاره, فإن الرمز الثقافي في الإحالة إلى (سنمار) بوصفه قناعًا دلاليًا يرفع التجربة من خصوصيتها الفردية إلى أفق أخلاقي جماعي, قوامه خيانة الوفاء, وانقلاب القيم, فالشاعر يصور المشهد العنيف بقوله (فقال اقذفوا بالعلج من فوق بُرجه...) ليكون علامة رمزية على الطغيان واختلال منظومة القيم, مما يجعل الواقعة موضع دهشة واستنكار, ليغدو النص في مجمله تأملاً شعريًا يمثل هشاشة الثقة الإنسانية, وفي الوقت نفسه قدرة الشعر على تمثيل الخيبة بوصفها تجربة وجودية.

ووظف الشعر في رسالته؛ لأنه كما هو معروف أن العرب تميل إلى الشعر وتحفظه أكثر من النثر، ولهذا سيحقق الديمومة والتأثير المطلوب، فكان هذا الكتاب مستنداً على الرصيد الأدبي الذي يتمتع به.

فإن الاستهلال له علاقة بالمجتمع، ((فهو أكثر الأجزاء الفنية في العمل تجسيدًا لهذه العلاقة فالمفردات القليلة التي يبتدئ الاستهلال بها هي جزء من بنية عادة راسخة في المجتمع أو جزء من تقليد سابق جرى تداوله، فالاستهلال يحمل تاريخ وتقليد ما)).(النصير، ٢٠٠٩، ٢٢)، وهذا ما وجدناه في قصة سنمار الذي يعد مثلاً يضرب به المثل في المجتمع آنذاك.

ولاسيما أن الملوك والأمراء كانوا يثقفون أنفسهم بأشعار العرب وأمثالهم وعاداتهم وتقاليدهم وبلاغتهم وفصاحتهم، كل هذه الأسس الأدبية، كانوا في العصور المختلفة يأخذون من

معينها الخصـــب، ويجعلون كتبهم ورســـائلهم أكثر تأثيراً، وأبلغ تعبيراً عن المعاني والإشـــارات المختلفة.(محمد، ٢٠١٦، ٨٨).

إذ إن للتأثير الشعري سيطرة لا يكاد يفلت منها أي أحد، بحيث يصبح جزءاً من تكوينه, أي عملية التكوين الفني ذاتها, وعنصرًا بنيويًا لا ينفك عن التجربة الإبداعية، غير أن هذا التأثير لا يبلغ قيمته الجمالية إلا حين يتمكن الشاعر بعد مرحلة التفاعل والاستيعاب من الوصول إلى أسلوبه الخاص، والأخذ من هذا المستوى يتجاوز التراث عادة، فيضيف إليه جديدًا ولا يأوي إلى ظله، بل يخرج إلى باحة التجربة الواسعة، ويحس احساسًا عميقًا بين الحالة الآنية ومناسبة النص الشعري.(عبدالصبور، ١٩٨٢، ١٨). ومن هذا المنظور لا يتحقق تجاوز مستوى التقليد بمجرد الانفصال الظاهري عن النصوص السابقة, وإنما عبر إعادة توظيفها داخل بنية جديدة تتجاوز منطق الإضافة الشكلية إلى إنتاج معنى مغاير, فالأثر الشعري الناضج لا يكرس التبعية, ولا يفضي إلى الاستنساخ, بل يفتح النص إلى فضاء التجربة الواسعة, إذ يتشكل وعي جمالي يجمع بين الامتداد التراثي وخصوصية الحالة الآنية, وبذلك يتحقق الانسجام بين الحالة النفسية المبدعة وبنية النص الفنية.

وفي كتاب عديّ بن زيد العبادي إلى أخيه أبيّ أنه لما مات المنذر بن المنذر بن ماء السماء، ولي كسرى أبرويز بن هرمز ملك الفرس ابنه النعمان بن المنذر على الحيرة، وكان عديٌّ بن زيد العبادي وإخوته في كتاب كسرى يترجمون له، فحصل بينهما خلاف فحبس النعمان بن المنذر عديّ فجعل عديّ يقول الشعر وهو في السجن. فلما طال سجن عدي كتب إلى أخيه أبيّ وهو مع كسرى بشعر. (صفوت, د.ت, ١/ ١٦ _ ١٧). فقال:

أبلغْ أُبيًّا على نـــــأيه (وهل ينفعُ المرءَ مـا قد عَلِمْ)
بأن أخـــاكَ شَقيقَ الفُؤا دِ كُنْتَ بِه واثـــقًا ما سَلِمْ
لدى ملكٍ، مـُوثقٍ في الحديـ ـد إمَّا بحقٍ وإمـــــا ظُلِمْ
فلا أَعْرِفنك كَـــدَأبِ الغُلا مِ ما لَمْ يجـــدْ عارمًا يَعْتَرِمْ
فأرْضَكَ أَرْضَـــكَ إنْ تأتنا تنمْ ليلةً ليس فيها حُلُمْ (العبادي, ١٩٦٥, ١٦٤).

فيوظف عدي بن زيد هذه الأبيات في الحوار الفكري مع أخيه طلبًا لمساندته ومساعدته في الخروج من سجن النعمان بن المنذر، مستعملاً لفظ (أخاك_ شقيق) كوسيلة من وسائل الاقناع والاستمالة التي يعتمدها عديّ لجعل التعاطف والتأثير في أعلى مستوياته المطلوبة.

لاسيما أن الشاعر يعمد إلى تقديم الفكرة، وتقديم ما يحقق لها الانتشار والاقناع والتقبل، هذه الفكرة نفسها تكون آلية فعّالة في التعالق العاطفي، ولاسيما أن الحوار هنا بين الأخوة، فتكون استحضارات الحدث الآني مهمة في إيصال المشهد فقال (لدى ملك_ موثق بالحديد)، فهذا

التوظيف ينشـط الحوارات الفكرية في البيئات التي تعاني الصـراعات وعدم الاسـتقرار, فهو نداء عاطفي وفي الوقت نفسه فعل حجاجي أخلاقي يرمي إلى استدعاء رابطة الدم بوصفها ضمانات النجاة, فالنداء في مطلع النص لا يؤدي وظيفة تواصلية محضـة, بل ينهض بوصـفه أداة ضـغط نفسـي في استثمار القرابة لتأنيب الغائب وتحميله مسؤولية أخلاقية ضمنية عن المصـير المعلق بين الحياة والهلاك, إذ يمثل شـعر المحنة بوصـفه وعيًا مأسـاويًا بالمصـير, فهو يريد الخلاص بغض النظر أكان مظلومًا أو ظالمًا (بحق_ ظلم)، وبهذا يكون الحوار ((مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر، حول موضـوع محدد، بصـورة متكافئة، يغلب عليه الهدوء في الوصـول إلى الحق، والبعد عن التعصـب والخصـومة)).(زمزمي، ١٩٩٤، ٦)، وبالتأكيد تكون الغاية ((إقامة الحجة، ودفع الشـبهة، والفاسـد من القول والرأي وهو تعاون بين المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها؛ ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، وكلها غايات مشتركة بين الحوار، وكلها غايات مشتركة بين الحوار)).(مقبل، ٢٠١١، ١٥).

ولهذا تحرك (أبيّ) بعد قراءة الأبيات الشعرية الموجودة في الكتاب ساعيًا إلى تلبية طلب أخيه بالنجدة، فقام إلى ((كسـرى فكلمه في أمرهِ وعرَّفه خبره، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه، ولكن النعمان اغتاله، وتقدّم إلى رسـول كسـرى أن ينبئه بأن عدياً قد مات قبل أن يقدم عليه)).(صـفوت، د.ت، ١٩/١). فالشـعر هو مفهوم أدبي يختلف عن كل نوع أدبي، فهو على أساس اشتراك ضمن دائرة أنشطة تخيلية تسهم في شتى أنواع الابداع، وفي إثارة مخيلة المتلقي الذي يستقبل رسالة كل مرسل من هذا أو ذاك، ولكن يظل لكل نوع منها مجاله الخاص وحواره المحدد.

ولهذا بعد أن وصـل كتاب عدي بن زيد إلى أخيه كتب أخيه رسـالة وظف فيها النص الشعري الذي يختصر النجدة والاستجابة.(صفوت، د.ت، ١٨/١):

((إن يكن خانك الزمـانُ، فلا عَاجزُ بـــاع، ولا ألفٌ ضعيفُ
ويمين الإلهِ! لـــو أن جأواء طحونًا تُضـــيءُ فيها السيوفُ
ذاتَ رِزٍّ مُجتابةً غمـرةَ الموت صحيحٌ سربالـــها مكفوف))

الرزَّ: الصـوت تسـمعه لا يُدرى ما هو، أو هو الصـوت تسـمعه من بعيد. (الأزهري، ٢٠٠١، مادة، رزَّ). الغمرة: الشدة.(الأزهري، ٢٠٠١، مادة، غمر).. السربال: القميص والدروع، (الأزهري، ٢٠٠١، مادة: سربل).

ثم يسـتمر (أبيّ) في تقديم المحبة والتضـحية والرغبة في النجدة مع انقطاع السـبل إليه كجزء من التضامن مع أخيه (عدي).(صفوت، د.ت، ١٨/١-١٩):

((كنتَ فـي حَميها، لجئتُك أسعـى فاعلَمَنْ لـو سمعتُ إذ تستضيف

أو بمالٍ سُئلت دونك لم يمنـع تلاذٌ لحـــــــاجة أو طريفُ
أو بأرضٍ أسطيعُ آتيك فيهـــا لـــــم يَهُلني بعيدها أو مخُوفُ
في الأعـــادي وأنت مني بعيد عزَّ هذا الزمـــــــانُ والتعنيفُ
إن تَفُتْني واللهِ إلفـــًا فجوعًا لا يُعقبْك ما يصـــــوبُ الخريف
فلعمري لئن جزعـــتُ عليه لجزوعٌ على الصـــــديق أَسُوفُ
ولعمري لئن ملكـــــتُ عَزَائي لقليلٌ شَـــــرْواك فيما أطوفُ))

فيعتمد (أبيّ) في هذه الأبيات الحوار التاريخي وبالتحديد آلية الفهم والتفسـير للوصـول إلى أعلى درجات الحضور في هذا الموقف الصعب، ولهذا قال (خانك الزمان_ كنت في حميها) فيجعل الشـــاعر للبعد التاريخي نقطة انطلاق لتحقيق الحضـــور في نفس أخيه, ثم إجابة طلبه وتذكيره بأن الزمن يتغير ولا يثبت على حال, فالخطاب يجمع بين اسـتدعاء الحضـور النفسـي, وبين طلب النجدة مع تبرير تعذرها, فيتحول الشعر إلى أداة ضغط وجداني من جهة, وآلية تعليل أخلاقي من جهة أخرى, فالشـــاعر لا يواجه أخاه باتهام مباشـــر, بل يســـتثير وعيه الداخلي, ويستحضـر صـورة النجدة الممكنة, إلا أن هذا الاستحضـار لا يلبث أن يصـطدم بوعي الشـاعر بانقطاع السبل, إذ يكون الأخ قريبًا في الرابطة بعيدًا في الأثر, لا خذلانًا متعمدًا بل بفعل العوائق الواقعية, فالخطاب يأخذ طابعًا تبريريًا خفيًا, بوصفه عجزًا ظرفيًا لا سقوطًا في القيم.

وهذا اشـــتغال من (أبيّ) على جزئيات الغياب أي التحول من حال إلى حال ومن ظرف إلى آخر، من القوة إلى الضـــعف ومن الفرح إلى الحزن، ومثل هذه الحوارات تُظهر ((المحتوى النفسي والعمليات النفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي)).(البحرواي، ١٩٩٠، ٦٦).

وأما استعمال الضـربات التاريخية للقصـيدة إلا ليؤكد على ((نقل الحوار على متلق جديد بصـيغة ملخصـة دون تقيد من السـارد بالنقل الحرفي لمجريات الحوار الأصـلي المباشـر محافظا على هيكل الفكرة والتصـــوير متصـــرفا بهيكل البنـاء القولي من حيث زمنـه وإشـــاراتـه التخاطبية)).(فضل، ١٩٩٢، ١٠١-١٠٣)، فنلحظ أن (أبي) يستعمل القسم في البقاء على العهد والتضحية من أجل أخيه فقال (فلعمري لئن جزعتُ عليه) و(ولعمري لئن ملكتُ عَزَائي).

فهو ليس عاجزًا عن نصـرته لكن الظروف والعوامل المحيطة، من قربه من كسـرى الذي هو من ولى النعمان بن المنذر على الحيرة، وعدم قدرته على الانفراد بالأفعال دون أمر الملك، فالظروف بشـكل عام ((لا تعطي الدلالة الزمنية الدقيقة إلا بما يصـحبها من القرائن فهي بدون القرائن لا تدل على التفاصـــيل الزمنية التي تتوفر في الجملة الفعلية)). (المنصـــوري, ٢٠٠٢, ٣١).

وفي موضـع آخر يرسل عبد المطلب بن هاشم إلى أخواله بيثرب رسالة يطلب نصـرتهم على عمّه نوفل بن عبد مناف بن ركح الذي اغتصب أملاكه في مكة.(صفوت، د.ت، ٢٢/١):

أبلغْ بنـــي النجَّار إن جِئْتَهُمْ أنَّى منهـم وابنُهُمْ والحـــميسْ
رأيتهمْ قومـــــاً إذا جئتُهم هووا لقـــــائي وأحبُّوا حسَيسْ
فإن عمِّـــــي نوفلاً قد أبَى إلا التي يُغضي عليها الخسيسْ

الحميس: أحمس، أي شـــجاع، والاحمس: الشـــديد الصـــلب في الدينِ والقتال (ابن الجوهري، ١٩٨٧, مادة، حمس).

أما الحس والحســـيس: فهو الصـــوت الخفي، (ابن الجوهري، ١٩٨٧, مادة، حســـس, وينظر: ابن منظور، ١٤١٤هـ، مادة، حسس).

ففي هذه الأبيات يحاول عبد المطلب أن يســتثير أخواله للدفاع عن حقوقه، ولهذا اعتمد على طبيعة التركيبة الاجتماعية، وبهذا يشكل النص توظيفًا للحوار الاجتماعي يبدأ من الإنسـان وينتهي بالإنسـان، أي: من فهم وتفسـير ظواهر الإنسـان وعاداته وتقاليده وطريقة حياته، ولاسـيما أن العربي يعتد بنسبه وقرابته مع الآخرين، ولهذا وظف تعبير (أبلغ بني النجار) في نداء مباشر لهم, وتخصـيص القول فيهم, فهو يسـتنهض قيم النصـرة والغيرة على القريب المظلوم, والخصـم ليس غريبًا, ويصـوغ شكواه بلغة العجز لا بلغة التوسـل, فتتحول المظلومية من واقعة اقتصـادية إلى أزمة بنيوية في نظام القرابة, فيعكس وعيًا من خلال أشعاره بأن العدالة في المجتمع القبلي لا تُستعاد إلا بتوازن القوى وحضور العصبة المناصرة, وتأكيد على أن النصرة ليست خيارًا عاطفيًا, بل واجبًا أخلاقيًا حين ينتهك الحق داخل البيت الواحد, فبما أن الإنســان جزء من المجتمع، فهذا يعني أن الحوار الاجتماعي ينبثق من المجتمع ليدرس ويتناول قضايا المجتمع.

ومســألة اعتداد العربي بنســبه هو جزء من ثقافته وجزء من عمل الإنســان وتوجهه، ولهذا كثّف الاستنهاض في تعبير (أني منهم), ثم قوله (ابنهم) ثم (الحميس).

فتظهر الطقوس والعادات المعينة التي يســتعملها العربي في مناداته وخاصـــة إذا ما تعرض لمظلمة أو اعتداء أو خصـومة يجنح دائماً إلى النجدة والاسـتعانة بأقربائه وعشـيرته, إذ يتميز الإنســان في المجتمعات بصـرف النظر عن بسـاطة حياته أو تعقيدها, بامتلاكه منظومة ثقافية خاصـــة تنعكس في طريقة تعامله مع أموره المادية, وتختلف المجتمعات الإنســـانية في مسـتويات تنظيمها, وتقسـيم العمل داخلها, وفي أنماط حياتها الاجتماعية والسـياسـية, وأنسـاقها الاعتقادية وطقوسها الدينية, وتعد هذه السمات خصائص ثقافية ينفرد الإنسان دون سواه بامتلاك أنماط سلوكية مركبة ومتجددة, وهو ما يطلق عليه الأنثروبولوجي اسم ثقافة. (الجوهري، ٢٠٠٤، ٦).

ولهذا ينتقل في البيت الثاني إلى المدح بالصفات والمزايا والفضائل لأخواله ليضمن الاستجابة أولاً ويحقق النتيجة التي يريدها ثانياً، فاستعمل تعبيرات (رأيتهم قوماً) ثم (هووا لقائي) ثم (أحبوا حسيسْ) فيؤكد عبد المطلب هنا أنه لا يعيش في فراغ بل هناك مكان يضمه وزمان يتحرك به وأناس يحيطون به ويساندونه وأحداث تتأثر به إذ ((هم في تفاعل مستمر مع البيئة التي يعيشون فيها، ولا تضم البيئة بالطبع مجرد الأرض والبحر والهواء والعناصر الطبيعية العديدة الأخرى، وإنما تضم علاوة على هذا الكائنات الحية العديدة المتنوعة التي تشارك الإنسان في عالمه)).(الجوهري، ٢٠٠٤، ١٣).

وتختلف ثقافات الشعوب من بيئة لأخرى، ولهذا ظهر في نصوص عبد المطلب الشعرية كثير من الجوانب المتعلقة بالثقافة السائدة في المجتمع العربي، من طقوس وأعراف وعادات وتقاليد، كل هذه الطبيعة تعرف بالمصطنعة، أي التي أشغلها الإنسان وعمل عليها واعطها الديمومة، فهي تعبر عن حضارية المجتمع واتجاهه الثقافي، وجعل من هذه الطبيعة المصطنعة أداة لبيان الحضور الواقعي وتجسيده بأدق صورة.

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث لابد من الإشارة إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها:

١_ كان توظيف النص الشعري في الرسائل الجاهلية غير منفصلٍ عن استرجاع الماضي والاستعانة به في استنهاض الهمم والتفاعل مع الشخصية المتلقية للرسالة الشعرية، واستعمال النصوص الشعرية للضربات التاريخية كما ظهر في رسالة (أبي) لأخيه (عديّ) داخل القصيدة إلا لتأكيد حضور هذا الحق ووضوحه.

٢_ جسدت النصوص الشعرية كثيرًا من الجوانب المتعلقة بالثقافة السائدة في المجتمع العربي، من طقوس وأعراف وعادات وتقاليد، فهي تعبر عن حضارية المجتمع واتجاهه الثقافي، فكانت العناية بالأنساب وبتأثير طبيعة المجتمع على الحياة العامة هي الصورة المسيطرة على المشهد العربي.

٣_ كان توظيف النصوص الشعرية في الرسائل الجاهلية يخضع لسببية مهمة وهي أن العرب تميل إلى الشعر وتحفظه أكثر من النثر، ولهذا سيحقق الديمومة والتأثير المطلوب، فكان أصحاب الكتب يضمنون كتبهم النصوص الشعرية، وأحيانًا يقتصر خطابهم على النص الشعري لفاعلية التأثير فيه.

٤_ إنَّ الرسائل الشعرية في العصر الجاهلي على قلة ما وصل منها اشتملت على مضامين مقتصرة على أغراض معينة لا تخرج عن مقتضيات البيئة الصحراوية، فمن الشعراء من كان لا يعرف الكتابة، ولكن كان لديهم الرغبة في أن تكون رسائلهم شعرية، فيبدو أن أغلب

الرسـائل الشـعرية في عصـر ما قبل الإسـلام كان خلفها دوافع لها ارتباط وثيق ومباشـر بالواقع المتغير بأحداثه.

٥_ كان المقصد الاجتماعي في رسائل العصر الجاهلي متقاربًا من جهة التوجيه، إذ سُخر في خدمة الحياة الجاهلية بأبعادها المختلفة واسـتعملت في حالات السـلم والحرب والاسـتقرار والاضـطراب بحسـب المناسـبة التي حتمت اسـتعمالها واللجوء إليه في مختلف الظروف والاحوال.

المصادر والمراجع

١. ابن الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي. (١٩٨٧). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤). بيروت: دار العلم للملايين.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (١٤١٤هـ). لسان العرب (ط٣). بيروت: دار صادر.
٣. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي. (٢٠٠١). تهذيب اللغة (تحقيق محمد عوض مرعب). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤. البحراوي، حسن. (١٩٩٠). بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية (ط١). المغرب: المركز الثقافي العربي.
٥. البلداوي، عدنان عبد النبي. (١٩٨٣). مضمون الرسائل الشعرية في الجاهلية والإسلام. بغداد: مطبعة الأديب البغدادية.
٦. الجوهري، محمد، وآخرون. (٢٠٠٤). الأنثروبولوجيا الاجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
٧. زمزمي، يحيى بن محمد حسن بن أحمد. (١٩٩٤). الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة (ط١). مكة المكرمة: دار التربية والتراث.
٨. شيخ موسى، محمد خير. (١٩٩٧). النثر الفني في النقد العربي (ط١). الكويت: مكتبة ابن كثير.
٩. صفوت، أحمد زكي. (د.ت). جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة. بيروت: المكتبة العلمية.
١٠. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (١٣٨٧هـ). تاريخ الطبري (ط٢). بيروت: دار التراث.
١١. العبادي, عدي بن زيد , ١٩٦٥, ديوان عدي بن زيد العبادي, حققه وجمعه: محمد جبار المعيبد, د.ط, بغداد _ وزارة الثقافة والإرشاد.
١٢. العباسي، ياسين النصير. (٢٠٠٩). الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي. دمشق: دار نينوى.
١٣. عبد الصبور، صلاح. (١٩٨٢). قراءة جديدة لشعرنا القديم. بيروت: دار العودة.
١٤. العسكري، الحسن بن سهل بن مهران. (د.ت). جمهرة الأمثال. بيروت: دار الفكر.
١٥. فضل، صلاح. (١٩٩٢). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
١٦. القيسي، نوري حمودي. (١٩٧٠). المرقش الأكبر: أخباره وشعره. مجلة العرب، ١٠(٤). الرياض: دار اليمامة.
١٧. لبيد بن ربيعة. (١٩٩٣). ديوان لبيد بن ربيعة (شرح الطوسي، تقديم وهوامش وفهارس حنا نصر الحتي، ط١).

بيروت: دار الكتاب العربي.
١٨.محمد، ضحى ثامر. (٢٠١٦). رمزية المكان في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي. مجلة دواة، ٢(١٠). العراق: العتبة الحسينية المقدسة.
١٩.مقبل، هالا سعيد محمد. (٢٠١١). الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم: دراسة دلالية بيانية (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
٢٠.المنصوري، علي جابر. (٢٠٠٢). الدلالة الزمنية في الجملة العربية (ط١). الأردن: الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع.
٢١.النصير، ياسين. (٢٠٠٩). الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي. دمشق: دار نينوى.
٢٢.الهروي، القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي. (١٩٨٠). الأمثال (تحقيق عبد المجيد قطامش، ط١). دمشق: دار المأمون للتراث. (الأصل ١٤٠٠هـ).

References

١.Ibn al-Jawhari, Isma'il ibn Hammad al-Farabi. (1987). Al-Sihah: Taj al-Lughah wa Sihah al-'Arabiyyah (ed. Ahmad 'Abd al-Ghafur 'Attar, 4th ed.). Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin.

٢.Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram ibn 'Ali Jamal al-Din al-Ansari al-Ruwayfi'i al-Ifriqi. (1414 AH). *Lisan al-'Arab (3rd ed.). Beirut: Dar Sadir.

٣.Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad al-Harawi. (2001). Tahdhib al-Lughah (ed. Muhammad 'Awad Mur'ib). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

٤.Al-Bahrawi, Hasan. (1990). The Structure of the Novelistic Form: Space, Time, Character (1st ed.). Morocco: Arab Cultural Center.

٥.Al-Baldawi, 'Adnan 'Abd al-Nabi. (1983). The Content of Poetic Epistles in the Jahiliyyah and Islam. Baghdad: Al-Adib al-Baghdadi Press.

٦.Al-Jawhari, Muhammad, et al. (2004). Social Anthropology: Issues of Subject and Method. Alexandria: Dar al-Ma'rifah al-Jami'iyyah.

٧.Zamzami, Yahya ibn Muhammad Hasan ibn Ahmad. (1994). Dialogue: Its Etiquette and Guidelines in the Light of the Qur'an and Sunnah (1st ed.). Mecca: Dar al-Tarbiyah wa al-Turath.

٨.Shaykh Musa, Muhammad Khayr. (1997). Artistic Prose in Arabic Criticism (1st ed.). Kuwait: Maktabat Ibn Kathir.

٩.Safwat, Ahmad Zaki. (n.d.). Jamhurat Rasa'il al-'Arab fi 'Usur al-'Arabiyyah al-Zahirah (The Compendium of Arab Epistles in the Flourishing Ages of Arabic). Beirut: Al-Maktabah al-'Ilmiyyah.

١٠.Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amuli. (1387 AH). Tarikh al-Tabari (2nd ed.). Beirut: Dar al-Turath.

١١.Al-'Abbadi, 'Adi ibn Zayd. (1965). Diwan 'Adi ibn Zayd al-'Abbadi (collected and

edited by Muhammad Jabbar al-Muʿaybid). Baghdad: Ministry of Culture and Guidance.

١٢. Al-ʿAbbasi, Yasin al-Nasir. (2009). Al-Istihlal: The Art of Beginnings in the Literary Text. Damascus: Dar Ninawa.

١٣. ʿAbd al-Sabur, Salah. (1982). A New Reading of Our Classical Poetry. Beirut: Dar al-ʿAwda.

١٤. Al-ʿAskari, al-Hasan ibn Sahl ibn Mihran. (n.d.). Jamhurat al-Amthal (Compendium of Proverbs). Beirut: Dar al-Fikr.

١٥. Fadl, Salah. (1992). The Rhetoric of Discourse and Text Linguistics. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.

١٦. Al-Qaysi, Nuri Hammudi. (1970). Al-Muraqqish al-Akbar: His Life and Poetry. Al-ʿArab Magazine, 10(4). Riyadh: Dar al-Yamamah.

١٧. Labid ibn Rabiʿah. (1993). Diwan Labid ibn Rabiʿah (commentary by al-Tusi; introduction, notes, and indexes by Hanna Nasr al-Hitti, 1st ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-ʿArabi.

١٨. Muhammad, Duha Thamir. (2016). The Symbolism of Place in the Poetry of Tamim ibn al-Muʿizz li-Din Allah al-Fatimi. Dawat Journal, 2(10). Iraq: Al-ʿAtabah al-Husayniyyah al-Muqaddasah.

١٩. Muqbil, Hala Saʿid Muhammad. (2011). Dialogue in the Scenes of the Day of Resurrection in the Holy Qur'an: A Semantic and Rhetorical Study (Unpublished Master's thesis). Faculty of Arts and Sciences, Middle East University, Jordan.

٢٠. Al-Mansuri, ʿAli Jabir. (2002). Temporal Signification in the Arabic Sentence (1st ed.). Jordan: International Scientific House & Dar al-Thaqafah for Publishing and Distribution.

٢١. Al-Nasir, Yasin. (2009). Al-Istihlal: The Art of Beginnings in the Literary Text. Damascus: Dar Ninawa.

٢٢. Al-Harawi, al-Qasim ibn Sallam ibn ʿAbd Allah al-Baghdadi. (1980). Al-Amthal (ed. ʿAbd al-Majid Qatamish, 1st ed.). Damascus: Dar al-Maʾmun lil-Turath. (Originally 1400 AH)